شبهات حول القرآن والرد عليها

د. محمدبن رزق
بن طرهوني

1405 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف القرآن الكريم

لغة : مصدر من القراءة على وزن فعلان كترجمان وهو إما بمعنى اسم الفاعل أو بمعنى اسم المفعول وكلاهما محتمل لأنه قارئ مقروء فهو يحوي كل فائدة فيما سبقه من الكتب ومبين لما فيها يتلوه الناس آناء الليل وأطراف النهار.

اصطلاحا : هو كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته .

فخرج كلام البشر وكلام الله لملائكته وغيرهم وباقي الكتب والسنة بما فيها الأحاديث القدسية والقراءات الشاذة .

وهو خاتمة الكتب الإلهية :

والدليل على ذلك قوله تعالى : "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين" وما دام محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فالكتاب المنزل عليه خاتم الكتب .

وقوله تعالى "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه " فهو المهيمن أي الأمين والرقيب على جنس الكتب السماوية فلابد وأن يكون خاتما لها وقال صلى الله عليه وسلم في حديث اللبنة "وبي ختم النبيون" وقال "لا نبي بعدي" وعلى هذا فلا كتاب بعد كتابه .

ومعنى هيمنته على الكتب السابقة :

أنه الشاهد والأمين عليها بقدر ما جاء فيها من الحق مثل قوله "وعندهم التوراة فيها حكم الله ..." أي في الزنا ويبين ما زيفه المزيفون وانتحله المبطلون مثل " تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا " ، "يحرفون الكلم من بعد مواضعه" ، "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم...." وغير ذلك .

والقرآن منهج شامل :

قال تعالى : "ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين " وقال "ما فرطنا في الكتاب من شيء" وقال "يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم "

فهو لم يترك شيئا فيه صلاح للعباد في الدنيا إلا وبينه أتم بيان في جميع معاملاتهم في السلم والحرب في الأسرة والمجتمع للفرد والجماعة في الأموال والأنفس وغير ذلك مما يتعلق بمصالح العباد في الدنيا .

ولم يدع شيئا يقرب من الله ويؤدي إلى جناته ويبعد عن ناره إلا ودلهم عليه فنظم العلاقة بين العبد وربه كما نظمها بين العبد وإخوانه فعمل على تطهير الأرواح وتغذيتها كما لم يهمل التقنين للأجساد وما يصلحها .

وقد جاءت السنة مكملة له مبينة لما أجمل فيه مفسرة له قال تعالى : "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم " وقال صلى الله عليه وسلم "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"

وهو معجزة النبي صلى الله عليه وسلم الخالدة :

المعجزة هي الأمر الخارق للعادة يجري على يد نبي والقيد الأخير للتفرقة بينها وبين الكرامة والسحر والإرهاصة .

وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم من المعجزات الكثير كانشقاق القمر ، وتسبيح الطعام ، وتسليم الحجر عليه ونبع الماء من بين أصابعه ، وتكثير الطعام وغير ذلك .

وهذه كلها معجزات وقتية زالت بزوال وقتها وإنما المعجزة الكبرى والتي ظلت وستظل باقية إلى قبيل يوم القيامة هي القرآن الكريم وهو أكبر المعجزات على الإطلاق ولم يؤت مثلها نبي قط وذلك يرجع لأمور منها كون هذا النبي خاتم الأنبياء ورسالته لجميع الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فلا بد له من معجزة باقية حاضرة أمام كل من أراد الإيمان ولهذا قال تعالى "أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم" وقال "ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ..." أي لكان هذا القرآن وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري "ما من نبي إلا وأعطاه الله من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة" أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وقد تحدى الله عز وجل جميع البشر بهذا القرآن وخصوصا أهل الفصاحة والبلاغة الذين وجدوا في ذلك العصر فظهر عجزهم فقال تعالى : "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"

والإعجاز فيه يرجع إلى عدة أشياء منها :

إخباره عن الأمم الماضية منذ خلق آدم بالرغم من كونه صلى الله عليه وسلم أميا "وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك..."

إخباره عن الحوادث المستقبلية فتقع كما أخبر مثل ظهور دين الإسلام ، غلبة الروم ، إحدى الطائفتين في بدر ..."

بديع النظم والتأليف ويرجع إلى عدة معان منها :

نظمه خارج عن مألوف كلام العرب من شعر ونثر وغيره .

فصاحة الألفاظ وقوة المعاني وكثرة الحكم مع عدم التفاوت والاختلاف مما يستحيل في كلام البشر

اشتماله على كثير من أغراض الكلام مع الروعة في النظم في جميع ذلك .

عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله في نظمه ومعناه بل شهد له الأعداء بترفعه عن كلام البشر.

احتوائه جميع أصناف البلاغة .

تضمنه للأحكام الرائعة في تجميع المجالات وإبداعه في الحجج والبراهين والرد على الزنادقة .

سهولة أسلوبه و تأثيره في نفوس سامعيه يبادر معناه لفظه إلى القلب .

-

حول فهم القرآن وموقف الأعداء منه :

القرآن واضح سلس الفهم لمن أراد التدبر قال تعالى "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" وقد اشتغل العلماء بفهم القرآن وشرحه للعوام وكل استخرج من كنوزه ما وفقه الله إليه واختلفت الأفهام أحيانا لاختلاف توفيق الله من شخص لآخر ، ولكن أهل

الزيغ والضلال لم يرق لهم ذلك فأخذوا يتتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وباتوا يكيدون له ولأهله كما حاول أسلافهم ذلك من قبل فقالوا ”هذا سحر“ وقالوا ”ساحر كذاب“ وقالوا ”بل هو شاعر“ وقالوا ”كاهن“ وقالوا ”أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا“ وقالوا ”إن هذا إلا قول البشر“ وغير ذلك

وبدأوا يحيكون الشبهات الباطلة حول القرآن ومصدره ولكن الله قيض العلماء الجهابذة ليردوا عليهم زيغهم وضلالهم ويكشفوا هذه الأباطيل .

-

شبهات حول مصدر القرآن

الشبهة الأولى : الوحي النفسي :

قالوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان مصلحا عبقريا ولرغبته في الإصلاح كان يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصا يكلمه والواقع أنه وحي من داخل نفسه وأتى كلامه معجزا لأنه عبقري ولم يثبت أن هناك غيبا وراء المادة ليثبت الوحي الخارجي ، وزعموا أنه نسبه إلى الله ليستعين بذلك على إصلاح الناس ، وكل ذلك لإبطال الدين الإسلامي وبيان أنه ليس من عند الله .

والرد على هذه الشبهة من وجوه :

أولها : أن القرآن على ما هو عليه من قمة الفصاحة والإعجاز في اللفظ والمعنى كان حريا بمحمد صلى الله عليه وسلم أن ينسبه إلى نفسه لما فيه من رفعة لمكانته ومدعاة لطاعته أكثر وأكثر ولكنه نسبه إلى الله فهذه دعوى لغيره وليست لنفسه فإن قالوا نسبه إلى الله ليضفي عليه القدسية وليكون مطاعا قيل لهم هذا فاسد لأنه أتى بكلام فنسبه لنفسه وبكلام آخر نسبه إلى الله فهلا نسب النوعين إلى الله ، وكذلك فإن أسلوب كلامه خالف ما نسبه إلى الله تماما فهل هذا في استطاعة إنسان ، كما أن نسبة هذا الكلام الرائع لنفسه تجعله أهلا للطاعة ابتداء ثم هذه الدعوى الباطلة تجعل طريق إصلاح الناس هو الكذب وليس الكذب فقط بل الكذب والافتراء على الله ، وليس هذا الطريق مما يمكن أن يسلكه النبي صلى الله عليه وسلم لأن الواقع التاريخي يبين أنه الصادق الأمين والذي لم يجرب عليه كذب قط بشهادة أعدائه قبل أحبائه قال تعالى : ”قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون“

ثانيا : أنه كانت تنزل به نوازل كان في أشد الحاجة إلى القول فيها ولكنه كان ينتظر الوحي ليوضح له الأمر فلو كان وحيا نفسيا لتكلم فيها مباشرة مثل حادثة الإفك ، وكذا الآيات التي كانت تأتي معاتبة له مصححة لبعض ما فعل ولو كان وحيا نفسيا لما أعلن

ذلك مثل ”وتخفي في نفسك ما الله مبديه...“ ، ”يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ...“ ، ”عبس وتولى...“ ، قضية الأنفال .

وكان ينتظر تفسيرا وتوضيحا لبعض الآيات فكيف يكون على ذلك وحيا نفسيا وهو ينتظر له وغير ذلك مما وجه به النبي صلى الله عليه وسلم وخوطب به مثل ”لا تحرك به لسانك لتعجل به ...“

ثالثا: أن هذا الذي يقولونه لا يتأتى إلا ممن عنده انفصام في الشخصية فما الداعي إلى حدوث ذلك في هذه السن بالطريقة المفاجئة هذه مع انعدام ذلك تماما قبل هذا الوقت وفي غير هذا الأمر .

رابعا: أنه لم يطلب به عرضا من أعراض الدنيا بل كلف نفسه بكل ما جاء فيه والتزم به أشد ما يكون الالتزام مع أنه كان من الأحرى أن يبغي به عرضا من الدنيا ولكنه كان ينتظر الموعود الإلهي الذي أوحى إليه به .

خامسا : أنه كان أميا لا يعرف قراءة ولا كتابة ولو كان وحيا نفسيا لأتى في درجة كلامه التي عهدها الناس منه فكيف وصل إلى هذه الدرجة من البلاغة التي أعجزت الناس وبهذا التشريع الكامل الذي بهر العقول .

سادسا : إخبار القرآن عن الأمم السابقة فهل كان محمد صلى الله عليه وسلم حيا في تلك الأيام فرأى ذلك فعلقت هذه الأخبار بذهنه ثم خرجت فجأة وهذا مما لا يقوله عاقل أم أنها أشياء اختلقها فأتت مطابقة للواقع تماما بشهادة أعدائه من اليهود وغيرهم .

سابعا: ما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم من معاناة أثناء الوحي مثل العرق الشديد في اليوم البارد والثقل البالغ حتى إن وزنه يتضاعف وما يسمع حوله من أصوات وهذا يسمعه من حوله ويشاهده مما ينفي تماما عملية الإيحاء النفسي .

ثامنا : الحقائق العلمية التي اكتشفت حديثا تطابق الآيات الكونية في القرآن تؤيد أن هذه الآيات من عند خالق الكون .

تاسعا: عدم وجود مانع من ذلك عقلا ومثل بعضهم بالتنويم المغناطيسي لتقريب ذلك وكذا الهاتف .

عاشرا: إخباره عن المغيبات مثل ظهور الروم على فارس ، البطشة ، ظهور دين الإسلام وغير ذلك .

الشبهة الثانية : معلمه بشر

عندما وجدوا أن أخبار القرآن عن الأمم الماضية وعن أشياء مستقبلة لا يتفق مع شبهة الوحي النفسي قالوا تلقى ذلك عن أهل الكتاب في أسفاره للشام مثل بحيرا الراهب وفي تواجده بمكة من غلام حداد نصراني وغير ذلك لينفوا صدور القرآن من رب العالمين

_و الرد على هذه الشبهة من وجوه عدة كذلك :

أولا : ليس هناك في التاريخ أي مستند لهم على هذه الدعوى بل إن التاريخ يشهد بأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يتلق عن أحد من علماء أهل الكتاب شيئا بل إذا سلم أنه رأى بعضهم مثل بحيرا أو ورقة ابن نوفل نجد أن التاريخ أثبت هذه الوقائع عليهم لا لهم فإن بحيرا رآه وهو صغير ورأى فيه سمات النبوة الأخيرة وكذا ورقة قال بأن هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى وتمنى أن يكون من أنصاره

ثانيا : لم يكن هناك أحد من علماء ذلك العصر فيه الأهلية لأن يكون معلما لمحمد صلى الله عليه وسلم وقرآنه بل إنهم أنفسهم يشهدون أن القرآن يمثل روح عصره أصدق تمثيل فها هو القرآن يفند أغلاط أهل الكتاب التاريخية مثل "يا أهل الكتاب لم تحاجون ..." ، "إن أول بيت وضع للناس " ويرد عليهم خرافاتهم مثل "وما مسنا من لغوب" ، "وما كفر سليمان" ، "وقالت اليهود عزير ابن الله " فهل آكلو الربا وأهل الإجرام يصلحون معلمين لصاحب هذا القرآن أم هو الذي يعلمهم ويرد عليهم على أن أهل الكتاب أنفسهم كانوا يكتمون كتابهم ويلبسون على الناس بالباطل .

ثالثا : أن قومه لما عجزوا عن معارضة ما جاء به رموه بهذه القولة السخيفة تلمسوا فيها أن يكون معلمه من أهل مكة حتى يتسنى لمحمد صلى الله عليه وسلم مقابلته وألا يكون منهم لعلمهم بجهلهم بما جاء به ويدعو أنه عنده علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولكنهم للأسف وقعوا على حداد رومي لا يعرف عن كتبه إلا اليسير ولا يقرأ الكتاب إلا أماني لسانه أعجمي لا يعرفه محمد ولا غيره فكيف يكون أصل هذا الكتاب المعجز في لغته البديع في نظمه ومعناه ؟

رابعا : ما الذي أسكت هؤلاء الذين علموه عن الجهر بالحقيقة لينالوا شرف الأستاذية وخصوصا أن محمدا صلى الله عليه وسلم جهلهم وسفههم واستدرك أخطاءهم وتربع على كرسي الأستاذ لهم .

خامسا : تحدى القرآن السافر لهم أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا فهلا ذهبوا إلى هذا المعلم فأخذوا منه وعارضوا به القرآن ؟!

سادسا: بعض ما تقدم في رد الشبه السابقة مثل سيرته الطاهرة التي ترتفع به عن الكذب وما كان يعتريه أثناء الوحي مما يدل على وجود قوة خارجية تؤثر فيه وعدم ابتغائه به أعراض الدنيا وغير ذلك .

شبهات حول نظم القرآن

أولا : حول المكي والمدني

لإثبات أن القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم لأنه تأثر بالبيئة التي حوله .

الشبهة الأولى : أن القسم المكي يختلف في أسلوبه عن القسم المدني

- من نواح منها
- أن المكي ينفرد بالعنف والشدة
- وينفرد بالسباب والإقذاع
- وبه مميزات الأوساط المنحطة

- فالفقرة الأولى يردها أن بالمدني شدة وعنف كما هو في المكي في بعض الأحايين وذلك مما تستدعيه التربية الحكيمة وذلك نحو ما جاء في سورة البقرة "فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين" ، "فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله" ، في آل عمران "قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد" وكذلك فإن القسم المكي به لين وصفح مثل المدني في نحو " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا..." فصلت ، "فمن عفا وأصلح فأجره على الله ...." الشورى "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ..." الزمر

- والفقرة الثانية يردها أن القرآن بقسميه ليس فيه السباب والإقذاع الذي يعنونه وهل يعقل ذلك والقرآن نفسه ينهى عن السباب ويدعو إلى أعالي الآداب "ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ...." أما إن قصدوا بالسباب ما جاء في القرآن من تسفيه أحلام المشركين ومقابلة إيذائهم للمؤمنين وتجبرهم وتعنتهم بما يناسبه من الشدة معهم وقد قال الشاعر

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم

وهذا النوع في القسمين المكي والمدني قال تعالى "صم بكم عمي فهم لا يرجعون" البقرة ، "إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون "

آل عمران ، "مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا" وغير ذلك من القسم المدني .

وليعلم هؤلاء أن الواقع يعكس ما قالوه فإن العهد المكي امتاز بالصبر والعفو والمجاملة أكثر من العهد المدني ولم يسمع فيه صلصلة لسيف وذلك ليتمكن الدين من القلوب وترسخ العقيدة في أذهان الناس .

- والفقرة الثالثة يردها واقع القرآن الذي أتى في قسميه المكي والمدني بأعلى الأساليب في كل شيء بل كان أهل مكة أفصح الناس وأعلمهم بالأساليب وأعرفهم بمنحط الألفاظ وعاليها .
- وإن أرادوا بذلك أن يقولوا بتفكك القرآن وعدم الترابط بين قسميه المكي والمدني فيكفي لدحض ذلك شهادة أعدائه بأنه في أعلى درجات الإبداع،
- وإن أرادوا أنه قصير العبارات أو خلوه من التشريعات فيأتي الرد عليهم في ذلك .

الشبهة الثانية : أن القسم المكي قصير السور والآيات مناسبة لأهل مكة البسطاء بخلاف القسم المدني فإنه طويل العبارات والسور مناسبة لأهل المدينة المستنيرين .

- ويرد ذلك وجود سور طويلة في القسم المكي وآياتها طويلة مثل سورة الأنعام ووجود سور قصيرة آياتها صغيرة في القسم المدني مثل "إذا جاء نصر الله والفتح"

أما إذا أرادوا الكثرة الغالبة فلامانع وهذا لايقطع الصلة بين القرآن بقسميه فإنك ترى آيات مدنية في سور مكية والعكس فلا تستطيع أن تفرق بينها .

- كما أن قصر الآيات لا يدل على انحطاط المستوى كما زعموا بل هو من الإيجاز والإيجاز مظهر رقي المخاطب لأنه يفهم بأقل عبارات وقد كان أهل مكة كذلك أما أهل الكتاب الذين تبلدت أذهانهم وتمرسوا على الجدال والمراء أسهب معهم القرآن ليفند لهم حججهم الواهية وفي كلا الأسلوبين أتى بأفصح العبارات وعلى أعظم صورة من صور البلاغة والتي لا يستطيعها بشر.

- كذلك فإن القرآن قد تحدى الإنس والجن أن يأتوا بأقصر سورة منه فلو كان القصر دليل انحطاط لاستطاعوا المجيء بذلك ولكن هيهات .

الشبهة الثالثة : قالوا إن القسم المكي خلا من التشريعات ومن المعارف لأنه تأثر بأمية أهل مكة فلما انتقل إلى أهل المدينة المثقفين تأثر بهم وأتى مليئا بالعلوم والمعارف .

- ويرد ذلك أن القسم المكي لم يخل من التشريع بل إنه أجمل جميع مقاصد الشريعة في نحو قوله "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم .... " الأنعام وامتلأ بآيات ترسيخ العقيدة والتفكر في الكون وغير ذلك
- أن كثرة التشريعات في القسم المدني بهذه الطريقة التفصيلية ليس نتيجة لما زعموا وإنما هو من التدرج الطبيعي في حياة الأمم فالتركيز بادئ ذي بدء على العقيدة وترسيخها ثم الأمر والنهي ليحصل الانقياد والطاعة ، أما أهل المدينة الذين زعموا استنارتهم فقد جاء القرآن بتصحيح أغلاطهم وتفنيد شبههم فهل يأخذ المصيب من المخطئ ؟
- لماذا لم يؤثر أهل الكتاب فيمن عاشروهم أكثر من النبي صلى الله عليه وسلم على مدى السنوات الطوال ولكانوا أحرياء بهذه النبوة والرسالة .
- لماذا ما داموا هم الأصل في ذلك لم يستطيعوا معارضته حين تحداهم ؟!

الشبهة الرابعة :

- أن القسم المكي كثر فيه الأقسام بالمخلوقات لسذاجة الوسط الذي نزل فيه ثم خلا من ذلك في القسم المدني لتأثره بالوسط الراقي الجديد .
- ويرد ذلك ما كان عليه أهل مكة بشهادة التاريخ من الذكاء والذوق والفصاحة .
- أن الأقسام بهذه الأمور الحسية كالضحى والليل لإيقاظ عقيدة التوحيد في نفوس تربت على الشرك بخالق هذه الأشياء مع اعترافهم بأنه خالقها فكان للإقسام بها عظيم مغزى

وليشير إلى ما جاء في قوله ”أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون“

- أنه كما أقسم بالحسيات أقسم بالمعنويات كالقرآن الكريم وكل ذلك لإرشاد السامع إلى المغزى من وراء ذلك القسم وخصوصا التنبيه على زيف آلهتهم التي يدعون من دون الله ومقتضى البلاغة مراعاة حال المخاطب .

الشبهة الخامسة :

أن القسم المكي اشتمل على لغو وتهاويل لا معنى لها مثل الحروف المقطعة وهذا يتنافى مع دعوى أنه هدى للناس والواقع أنها من وضع كتبة محمد من اليهود تنبيها على انقطاع الكلام واستئناف كلام جديد .

ويرد ذلك

- أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له كتبة من اليهود .
- أنه لا دليل على ما زعموه من أن هذه الحروف تعني ما قالوه في أي لغة من لغات البشر .
- أن اليهود أنفسهم لم يطعنوا في القرآن بمثل هذا في عصره صلى الله عليه وسلم مع شدة عداوتهم له .
- أن وجود هذه الأحرف في القرآن ليست دليل على عدم وصفه بأنه هدى للناس فإنه يكفي لتحقق هذا الوصف اعتبار المجموع لا باعتبار كل لفظ .
- أن هذه الفواتح لعلماء المسلمين فيها قولان منهم من يدعي معرفة تفسير لها ومنهم من يكل علمها إلى الله وعلى كلا القولين فإن لها فوائد عظيمة فعلى الأول هي أسماء للسور ودلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم حيث نطق بالحروف وهو أمي وأنها للتنبية على أن القرآن مؤلف من حروفكم أيها العرب ومع ذلك لم تستطيعوا الإتيان بمثله ، ومنها إيقاظ السامعين وغير ذلك ، وعلى الثاني هي ابتلاء لعباده المؤمنين ليتضح المؤمن القانت الذي أسلم وجهه لله ممن في قلبه زيغ وضلال .

الشبهة السادسة : أن القرآن المكي خلا من الأدلة والبراهين بخلاف المدني الذي امتلأ بها وهو دليل آخر على تأثير البيئة على محمد صلى الله عليه وسلم وأن القرآن من عنده .

ويرد ذلك :

- ما سلف من أن الطعن بذلك كان أولى به أهل هذا الوسط الذي أثر فيه .
- أن ذلك كذب صريح لامتلاء المكي كذلك بالأدلة والبراهين الساطعة بأقوى ما يمكن نحو "ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ...." المؤمنون

، "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ...." الأنبياء

"وما كنت تتلو من قبله من كتاب ...." العنكبوت

"أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ...." الطور وكل ذلك في إثبات التوحيد ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم .

وكذلك جاء في إثبات البعث بعد الموت والجزاء .

"أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد .." ق

"أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ...." السجدة

ويرد على المشركين حججهم الواهية في نحو قوله

"سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ...." الأنعام

وغير ذلك كثير

ثانيا : خصوصيته بالعرب

قالوا إن القرآن يثبت أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بالعرب وانتشارها بين غير العرب كان نتيجة الفتح القائم على أطماع سياسية ومما يدل على ذلك من القرآن ، "وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ، أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ..." ، "ولكل أمة رسول " ، "إنا أنزلناه قرآنا عربيا" ، "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه "وجئنا بك شهيدا على هؤلاء" ، "لتنذر أم القرى ومن حولها " ، "وإنه لذكر لك ولقومك" "ربنا وابعث فيهم رسولا منهم " ، "رسولا منكم" وما شابهها .

والرد على ذلك من وجوه :

- من أكبر الأدلة على أن الدين الإسلامي ليس خاصا بالعرب من بداية الدعوة دخول سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي في الدين في أحلك أوقاته وأصعب ظروفه فأين الفتح وأين الأطماع السياسية التي زعموها .
- لو سلمنا أنها كانت في البداية دعوة للعرب فليعلموا أنها كانت قبلها دعوة لعشيرة النبي صلى الله عليه وسلم الأقربين "وأنذر عشيرتك الأقربين" فهلا جعلوها خاصة بعشيرته ولكن هذا تدرج في الدعوة إن سلمنا فيبدأ بنفسه ثم أهله وعشيرته ثم قومه ثم العالم أجمع وفي كل أتت آيات .
- أن الآيات التي ذكروها إن سلمنا أنها تدل على بعثته للعرب فهي لم تحصرها فيهم وغيرهم مسكوت عنهم في هذه الآيات فيؤخذ حكمهم من آيات أخرى .
- أن التنصيص على بعض أفراد العام أحيانا لفائدة معينة لا يعني انعدام باقي الأفراد كما لو قيل "كلمت اليوم زيدا" فلا يعني أنني لم أكلم غيره وخصوصا إذا سبق بيان أنني كلمت جماعة من الناس .

- أن الآيات التي ساقوها لا حجة فيها فالأولى يرد عليها بأن أمته صلى الله عليه وسلم هم الأحياء من بعثته إلى قيام الساعة ، والثانية أن كونه قرآنا عربيا لا يعني عدم إيمان الأعجمي به والواقع يبين ذلك ، وكذلك الثالثة فكونه أرسل بلسان قومه لأنه في حاجة إلى بطانة ودعاة ينشرون دعوته في كل مكان ويبدأ بهم ليتفهموا الدعوة جيدا ، والرابعة لينذر أم القرى ومن حولها إن قيل حولها جميع بلاد العالم فواضح وإن قيل ما يقرب منها فالنص عليهم للاهتمام بمركز الدعوة ولا ينفي دعوة غيرهم وهكذا باقي الآيات .
- إذا كنتم تحتجون بالقرآن على بعثته إلى العرب فإن سلمتم ببعثته للعرب فهو نبي والنبي معصوم من الكذب وقد أخبر أنه مرسل للناس عامة فقال "وكان كل رسول يبعث في قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"
- قد وردت الآيات العامة التي تدل على شمول بعثته للإنس والجن قال تعالى :
- "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا"
- "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"
- "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا" وغير ذلك

ثالثا : حول إعجاز القرآن

الشبهة وتوضيحها : زعموا أن إعجاز القرآن في نظمه فقط وأن القدماء أجمعوا على ذلك ثم جاء من بعدهم يلتمس للقرآن الشمول فقالوا هناك إعجاز في العقيدة والشريعة والفلسفة وفي العلم الحديث وهذا ادعاء لا أصل له لأن التاريخ الإسلامي يجهل مثل هذا التفكير .

تفنيد الشبهة : أولا قولهم أن إجماع العلماء القدماء هو على أن إعجازه في نظمه فقط ليس بصحيح بل هو كذب محض فإن علماء المسلمين القدامى مجمعون على إعجازه في نظمه وإعجازه في إخباره عن الأمور المستقبلة والتي حدثت كما أخبر تماما وإعجازه في إخباره عن السابقين وأحوالهم بهذه الدقة المتناهية مع أمية النبي صلى الله عليه وسلم وعدم معرفته بذلك صلى الله عليه وسلم قبل الوحي كما أنهم مجمعون على إعجازه في المعاني التي لا يطاولها معاني وفي تشريعاته الحكيمة التي لا يمكن أن يأتي بها بشر .

ثانيا : تعللهم بأن التاريخ الإسلامي يجهل مثل هذا التفكير مردود عليهم لأن معظم ما نفوه مجمع عليه عند السابقين وعلى فرض عدم معرفة السابقين به أو بالعلم الحديث مثلا فهذا لا ينفي ثبوت ذلك للقرآن لأنه معين لا ينضب ونحن نؤمن بأن الاكتشافات فيه متجدده مصداقا لقوله تعالى "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"

ثالثا : أن هذا الادعاء عليه أدلة كثيرة والقرآن معجز في لفظه ومعناه والدليل على ذلك أنه أعجز العرب عن الإتيان بمثله فلم يستطع أحد مضاهاته بل اعترفوا بأنه في قمة البلاغة وأنه لا يمكن أن يكون من كلام البشر وهذا على ما هم عليه من البلاغة والفصاحة كما أنه معجز في تشريعاته الشاملة التي لم تترك شيئا إلا وقننت فيه بكل دقة وبما يتوافق ونفوس بني آدم بما لا يوجد منه شيء في تشريعات البشر التي كثيرا ما يثبت نقصها وتتكسر قوائمها أمام التطبيق .

1 .ومعجز في فلسفته إن قصد بالفلسفة قوة المحاجة العقلية ومعالجة الأمور بعمق حيث

فيه أبرع المحاجات على وجود الخالق وإثبات الألوهية له وعلى إبطال العقائد الفاسدة وإقحام أهل الشرك في أروع الأساليب وأواخر سورة الطور قمة في ذلك حيث توقف الإنسان مذهولا لإيحار جوابا ولذا قال جبير بن مطعم عند ما سمعها كاد قلبي أن يطير .

2 .وأما إعجازه في العلم الحديث فمجاله واسع وواضح ومن ذلك قوله ”وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ....“ إشارة لحركة الأرض ودورانها وقوله ”ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء“ إشارة لقلة الأكسجين في الطبقات العليا من الجو والتي تجعل التنفس صعبا وتسبب ضيق الصدر ، ”فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ....“ بيان بديع لمراحل تخلق الجنين في بطن أمه . وغير ذلك كثير .

3 .أما إعجازه في العقيدة فهي عقيدة سماوية لا تقارن بعقيدة اختلقها البشر فهي العقيدة التي تقوم على توحيد الخالق وإفراده بالعبودية وبصفات الكمال واعتقاد الجنة والنار والثواب والعقاب والإيمان بمسائل غيبية لا يستطيع أن يختلقها بشر أما كون هذه العقيدة معجزة في أنها تتمشى وفطرة الإنسان وهي الوحيدة الصالحة لإصلاح البشرية وقيام الخلافة في الأرض فمجال واسع ولا خفاء فيه .

رابعا : حول ثبوت القرآن وكتابة مصاحفه

الشبهة الأولى

وتوضيحها : قالوا إن نص القرآن الموجود فيه اضطراب كبير وزيادة ونقصان وذلك لعدة أسباب منها أن الاعتماد في نقله كان على الحفظ وقد مات عدد كبير من الحفظة في المغازي وأن المكتوب منه كان في وسائل بدائية يصعب حفظها وما ضاع منه زعم العلماء أنه نسخ لفظه وبقي معناه ، وأن الصحابة كانوا يحذفون من القرآن ما يرون المصلحة في حذفه فقد حذف علي آية المتعة وأسقط ابن مسعود الفاتحة والمعوذتين وأسقط الصحابة

سورتي الخلع والحفد لأن أبيا أثبتهما ، وكان النبي نفسه صلى الله عليه وسلم ينسى بعض آيات القرآن كما قال تعالى "فلا تنسى إلا ماشاء الله " وقال صلى الله عليه وسلم لقد أذكرني فلان آية كذا وكذا كنت قد أنسيتهما ، وأن الحجاج تلاعب بالمصاحب تزلفا لبني أمية ثم أعدم المصاحف السابقة .

تفنيدها :

- السبب الأول لا حجة فيه على ما زعموا لأن ما كان يحفظه هؤلاء كان يحفظه غيرهم ولا يجب لحفظ نص القرآن أن يكون كل الحفظة أحياء والذين قاموا بجمع القرآن هم أحفظ الصحابة وحفظ في عهدهم عمر وعثمان وعلي وزيد وأبي بن كعب وابن مسعود وغيرهم كثير كما أن القرآن كله كان مكتوبا ومحفوظا عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان الصحابة يعتمدون في الجمع على الحفظ والكتابة زيادة في التوثيق .
- السبب الثاني يرد بأن ما كان مكتوبا فيه القرآن كان محفوظا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان يأمر الكتاب بوضع الآية في مكان كذا وكذا من سورة كذا وكذا فلا ريب أنه ما سقط منه حرف واحد إذ كانت رعايته من النبي صلى الله عليه وسلم نفسه كما أن الصحابة كانوا يستوثقون في الجمع وأما قولهم بأن ما ضاع هو ما ادعى العلماء أنه منسوخ التلاوة باقي الحكم فهو باطل لأن كثيرا من هذا ما زال محفوظا لفظه ومع ذلك فهو منسوخ مثل "الشيخ والشيخة فارجموهما ..." فمحاولتهم لنفي النسخ بهذه الترهات والطعن في القرآن بها في آن واحد لمغالطة شنيعة .
- والسبب الثالث كذب على الصحابة رضوان الله عليهم وهم أكرم من أن يتلاعبوا بكتابهم كما تلاعبوا هم وليس عندهم برهان على ما قالوا بل ما ذكروه أسانيده واهية وضعها الزنادقة وذلك في الغالب أما ما روي عن ابن مسعود في الفاتحة فباطل وأما في المعوذتين فقد توهم أنهما رقية لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بهما الحسن والحسين حتى تيقن من أنه على خطأ فرجع عن ذلك ونقلت لنا قراءته متضمنة للمعوذتين ، وأما ما روي عن أبي بن كعب إن صح فلا دليل فيه على أنها من القرآن

لأنه كان يثبت في مصحفه بعض الأدعية أو التفاسير وهذا لا مانع منه على سبيل التقييد فقط لأنه يعرف القرآن من غيره وذلك لندرة أدوات الكتابة ، وأما ما ذكروه عن علي فلا يصح وعلى أي حال فإن المتعة منسوخة قطعا بنص النبي صلى الله عليه وسلم .

- السبب الرابع كذلك لا حجة فيه البتة لأن هذا النوع من النسيان لا غبار عليه أولا لأنه بعد التبليغ بدليل حفظ الرجل لها . ثانيا أن هذه الآيات كانت مكتوبة كما هي الطريقة المتبعة في حفظ القرآن ثالثا: أن لفظ الحديث لا يعني ذهاب الآيات تماما عنه صلى الله عليه وسلم وإنما كانت غائبة عنه ولكنها محفوظة في الذاكرة ، رابعا : أن جبريل كان يعارضه صلى الله عليه وسلم في السنة مرة وفي السنة الأخيرة مرتين ، وأما احتجاجهم بالآية فكذلك لا حجة فيه لأن المراد بما استثناه الله هنا نوع من النسخ كما قال تعالى : "ما ننسخ من آية أو ننسها .." وهذا وجه وذهب بعض أهل العلم إلى أن الاستثناء غير حقيقي وأنه ليطمئن النبي صلى الله عليه وسلم فيريح نفسه من إتعابها في محاولة الحفظ والاستثناء لبيان قدرة الله على الذهاب بوحيه إن شاء ولكن اقتضت المشيئة عدم ذلك وذلك مثل قوله "ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ..."
- وأما ما نسبوه للحجاج فكذب وباطل ولم يصح ذلك البتة وعلى فرض ثبوته كيف حدث هذا والحجاج كان عاملا على ولاية فكيف يجمع المصاحف من غير ولايته ويسيطر عليها ثم كيف سكت علماء الأمة على هذا الخرق الكبير في الإسلام ولا يبذلون دماءهم في سبيل المحافظة على كتاب رب العالمين ، ولم ينقل إلينا ذلك من وجه صحيح وهو مما تتوافر الدواعي لنقله ، ثم كيف سكت من بعده على ذلك ولم يعيدوا ما حذفه ويصلحوا ما أفسده ، فإن قيل إنه غير المكتوب فهل استطاع تغيير ما في صدور الرجال فيا لها من دعوة باطلة .

الشبهة الثانية وتوضيحها :

قالت الرافضة إن الصحابة أسقطوا من القرآن فضائل آل البيت وولاية علي وأن عندهم مصحفا غير هذا المصحف واستدلوا على ذلك بروايات نسبوها لجعفر الصادق وغيره .

تفنيد الشبهة :

- هذه اتهامات مجردة عن السند والدليل
- أن من علماء الشيعة من تبرأ من هذا السخف وعلى رأسهم الطبرسي صاحب مجمع البيان حيث قال أما الزيادة في القرآن فمجمع على بطلانها وأما النقصان فأشد استحالة .
- أن التواتر قد قام على أن الموجود بين دفتي المصحف الآن هو كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان .
- أن عليا رضي الله عنه استجاب لجمع المصحف وكان من المؤيدين له المادحين لفاعله .
- أن الخلافة انتهت إلى علي رضي الله عنه فلم لم يجهر بالحق في القرآن وتصحيح ما فيه ومن بعده لابنه الحسن وهما أشجع خلق الله في نصرة الحق .
- إن هذا إلا اختلاق

الشبهة الثالثة :

أنكروا الأحرف السبعة وقالوا بأن حديثها موضوع والدليل على وضعه اضطراب متنه وأنكروا القراءات وطعنوا في عدالة رواتها وحفظهم .

تفنيدها :

أولا حديث الأحرف السبعة حديث متواتر رواه أكثر من عشرين نفسا من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وأخرجه جميع من صنف في الحديث تقريبا فلا شك في صحته وثبوته وأن دعوى الاضطراب باطلة كما أنه لا يقال بالاضطراب إلا إذا تساوت درجات الأسانيد وذلك عند وجود الاختلافات ولا شيء من ذلك في أحاديث الأحرف السبعة والحمد لله

ثانيا : أن القراءات جمهور العلماء على أنها متواترة ووضعوا لها قيودا لقبولها وأهمها صحة السند ثم موافقة الرسم العثماني وموافقتها وجها من العربية وأما رواتها فهم من العدالة بمكان وكانوا أضبط الناس للقراءات أثنى علهم الأئمة وقدمهم أهل عصرهم وتصدروا للإقراء فأتاهم طلاب العلم من كل مكان من غير نكير من أحد فكيف يتسنى لهم الطعن فيهم وفي عدالتهم .

- **مسألة في الأحرف السبعة** : اختلف أهل العلم في المراد منها على أقوال كثيرة قد لا تمت للموضوع بصلة والذي عليه جمهور أهل العلم أن المراد منها سبع لغات ولكنهم اختلفوا في تعيينها والتعيين لا طائل من ورائه ، وذهب ابن الجزري إلى قول غير ذلك ورجحه جماعة من أهل العلم ويتضمن

- التغيير في الحركات فقط
- التغيير في المعنى والحركات
- تغيير الحروف والمعنى وبقاء الصورة
- العكس

- بتغييرهما معا
- التقديم والتأخير
- الزيادة والنقصان

الشبهة الرابعة :

قالوا إن زيد بن ثابت كان يكتب في المصاحف بخبر الآحاد كما فعل في آخر التوبة بخير أبي خزيمة وآية الأحزاب بخبر خزيمة بن ثابت ، وأن الصحابة لما كتبوا المصاحف لم يكونوا يتقنون الكتابة فحدث خطأ كثير وخالفوا قواعد الكتابة في مواضع كثيرة وتركوا النقط والشكل فبذل علماء الإسلام جهدهم في حل ذلك فنشأت القراءات .

تفنيدها :

أولا ماذكر عن زيد لا يقدح في تواتر القرآن لأن الذي كان يبحث عنه هو أن يجدها مكتوبة أما الحفظ فقد كان هو نفسه يحفظها بدليل قوله "فقدت آية ..." وكذا كان يحفظها غيره ولكن الأسلوب الذي جمع الصحابة به القرآن كان دقيقا للغاية فلم يكتفوا بالحفظ فقط ولكن بالكتابة أيضا وأضافوا في عهد أبي بكر أن يشهد اثنان على الكتابة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل شهادة أبي خزيمة بشهادة رجلين فتم الجمع بهذا الأسلوب الدقيق وبطل ما زعموه .

ثانيا : قولهم إن الصحابة كانوا لا يتقنون الكتابة فلا برهان عليه وإنما هي دعوى أما اختلاف بعض الألفاظ في الكتابة فمما عده البعض من الدليل على التوقيف وهو ما ذهب إليه جمع من أهل العلم وقالوا كتابة المصحف توقيفية ، والمجزوم به أن الكتابة هكذا جعلت المصحف يحتمل كثيرا من وجوه القراءات ، كما أن النقط والشكل ما وضع إلى في عهد أبي الأسود الدؤلي خوفا من اللحن في القرآن بعد دخول كثير من الأعاجم فيه واختلاطهم بالعرب وأما القراءات فليست نتيجة لعدم النقط والشكل

لأنها تعتمد على التلقي من الأفواه وهي مسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتتضمن ما بقي من الأحرف السبعة ولم ينسخ والتي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم ، بل كان عدم النقط والشكل وإرسال عثمان أكثر من مصحف إلى الأمصار هدفه استيعاب المصاحف للأحرف السبعة التي تضمنتها القراءات. وإلا فقولوا إن الاختلاف بين ألفاظه يعتبر اختلافا ، وأن الاختلاف في طول الآيات والسور يعد اختلافا ، واختلاف معانيه من موضع لآخر اختلافا . وكل الوجوه حق نازل من الله والخلاف الذي ينفيه القرآن إنما هو التناقض بين معاني القرآن وألفاظه فنزول القرآن على سبعة أحرف لا يلزم منه أي تناقض ولا تدافع ولا تضاد بين مدلولات القرآن وألفاظه وتعاليمه وإنما هو تيسير على الأمة ورحمة بها .

الشبهة الخامسة :

قالوا إن نزول القرآن على سبعة أحرف ينافي ما تقرر من أن القرآن نزل بلغة قريش

والجواب عن هذه الشبهة أولا : أننا لا نسلم أن مجمل القرآن نزل بلسان قريش وإن سلمنا ذلك فإنما يكون نزل الكثير منه بلغة قريش ثم نزل بعد ذلك على أوجه أخرى بلغات غير لغة قريش .

ثانيا : قال بعض العلماء إن جميع اللغات العربية الموجودة في القرآن تحتويها لغة قريش لأن قريشا كانت محط رحال العرب جميعا يفدون إليها ويقيمون الأسواق في بلادها ويتحاكمون لديهم فأخذت قبائل قريش من جميع لغات العرب أفصحها وضمته إلى لغتها لكثرة اختلاطهم بهم في مواسم الحج والعمرة فلهذا كانت لغة قريش مجمع لغات مختارة منتقاة من بين لغات العرب كافة .

تمَّ بحمدِ اللهِ